الفصل الثالث

أحمد الراوي وباري جونتر

مرَّ العراق باضطراب داخلي كبير على مدى العقدين الماضيين، بسبب تورُّطه في عدد من الصراعات الإقليمية، فقد أطيح بالنظام السابق بعد الغزو الأمريكي عام 2003، وخرجت مقاليد الحكم من أيدي أبناء العراق، وحدثت تغييرات سياسية واجتماعية وصراعات عنيفة أخلَّت بوحدة البلاد ونسيجها الاجتماعي، وفي هذه المخاضات، أدَّى الإعلام العراقي دورًا مهمًّا في إبقاء المواطنين العراقيين والعالم الخارجي على اطلاع دائم بآخر الأحداث.

وسيتتبّع هذا الفصل التطورات في بنية وسائل الإعلام والقائمين عليها، ويحلل المشهد الإعلامي المتشكل منذ عام 2003. لقد هيمنت مصالح وتنظيمات سياسية على المشهد في مراحل مختلفة منذ الاحتلال الأمريكي، وعملت على السيطرة على مسار الخدمة الإخبارية وطبيعتها في البلاد، وقد أُثيرت تساؤلات كثيرة عن موضوعية التغطية الإخبارية وحياديتها في العراق، وبخاصة ما تعرضه محطات التلفاز.

وسيستقصي هذا الفصل هذه الأحداث، وسيرصد وضْع الخدمة الإخبارية في العراق وأثرها في إعادة بناء البلاد اقتصاديًّا وسياسيًّا، وسيعتمد الفصل أيضًا على البحوث التي أُجريت على تقديم الأخبار في التلفاز العراقي في مرحلة ما بعد الحرب.

بدايات الإعلام العراقي

يعود تاريخ وسائل الإعلام العراقية إلى القرن التاسع عشر، وكانت صحيفة **الزوراء** أول صحيفة عراقية تصدُر عام 1869، أما أول بث إذاعي فكان في 22 مارس/ 1932 في عهد الملك فيصل الأول (AL-Rawi, 2010:191)، وكان غازي ابن الملك فيصل مهتمًّا شخصيًّا بوسائل الإعلام، وبالإذاعة بصورة خاصة؛ حيث إنه بعد توليه عرش العراق عام 1933، أسس إذاعة قصر الزهور عام 1936 وكانت تبُث من أحد القصور الملكية في بغداد. وفيما يتعلق بالبث التلفازي، كان العراق من أولى الدول العربية امتلاكًا لمحطة تلفازية بدأ بثُّها عام 1954، مع أن البرامج المنتظمة أخذت تُبث عام 1956. وفي كل الانقلابات التي شهدها العراق بعد الإطاحة بالملكية عام 1958، أصبحت محطة التلفاز بؤرة اهتمام الانقلابيين الطامحين إلى مخاطبة الجماهير.

وفي أثناء سيطرة حُكْم حزب الحكومة بالكامل، كان على الصحافيين العراقيين أن يتماشوا مع سياسات الحزب. وفي ظِلِّ هذا الحكم، لم تكن الصحافة الاستقصائية ممارسة شائعة، ولم تكن الحكومة تتسامح مع نقد سياساتها.[1] ونتيجة لذلك، كانت صُحُف **العراق والجمهورية والقادسية والثورة** تبدو متشابهة، حيث كانت تنشر صورًا بالحجم الكبير لصدام حسين على صفحاتها الأولى، وكانت تنشر أخبارًا وتقارير متشابهة؛ ولهذا، كان أي انحراف مقصود أو غير مقصود عن خط الحزب يُعدُّ جريمة عقوبتها السجن أو التعذيب، أو الموت في بعض الحالات، وكما يقول كيم وآخرون (Kim & Hama-Saeed, 2008)، فقد كانت القنوات الإعلامية «خاضعة لمصلحة الدولة، ومُسخَّرة لخدمة حزب سياسي وحيد - البعث».

وقد وصفت منظمة مراسلون بلا حدود نظام صدام حسين بأنه «مفترس حرية الصحافة، الذي أدار الإعلام بيد من حديد، ولم يترك له أي رسالة سوى الدعاية له» (RSF, 2002, 1-3). وفي الحقيقة، إن العراق لم يكن البلد العربي الوحيد بهذا

الخصوص، بل إن الدول الأخرى اتبعت سياسات مماثلة، فقد لاحظ تقرير التنمية البشرية الذي تصدره الأمم المتحدة أن الصحافة العربية تتميز بسمات استبدادية؛ «فالخطاب الإعلامي غالبًا ما يستبعد وجهة النظر الأخرى، ويُغيِّبها عن الرأي العام» (UNDP, 2003: 62).

لكن ما ميَّز الإعلام العراقي في ذلك الوقت، أنه كان من المحظور على وسائل الإعلام التطرق إلى القضايا العنصرية أو الطائفية؛ لمنع الاضطرابات الاجتماعية أو الصراع الداخلي، نظرًا إلى التنوعين العرقي والديني للشعب العراقي، حيث كان يُمنَع، مثلًا، استخدام اللغة التي تُميِّز بين العراقيين من حيث انتمائهم إلى المذهب السني أو الشيعي (Benjo, 1983:13)، فقد كانت الحكومة العراقية تدرك جيدًا الأخطار الاجتماعية والسياسية من إثارة الخلافات الدينية بين العراقيين. وكانت توجد أربع قنوات تلفازية في أثناء حكم حزب البعث: قناتان أرضيتان، وقناتان فضائيتان (تلفاز العراقية – أو القناة العامة – وتلفاز الشباب). وفي ذلك العهد، كان يُحظَر امتلاك أجهزة استقبال للتلفاز العراقي، وكان يُحكَم بالغرامة أو السجن على أي شخص يضبط متلبسًا بالتقاطه قنوات فضائية، لكن الوضع في كردستان كان مختلفًا بعد حرب الخليج الأولى عام 1991، فقد زاد عدد قنوات التلفاز في كردستان على 20 محطة، وكانت تبُث من شمال البلاد، حيث يتمتع الأكراد بحكم ذاتي نسبيًّا. وقد عُرِف صحافيو الجبال الأكراد طوال سنوات التسعينيات بنشاطهم الدعائي ضد الحكومة المركزية، وتشجيعهم الأكراد على الانضمام إلى قوات البيشمركة. وأصبحت وسائل الإعلام الكردية منذ عام 1991 مرتبطة بالحزبين الرئيسين؛ الحزب الديموقراطي الكردستاني والاتحاد الوطني الكردستاني.

الإعلام العراقي بعد الغزو الأمريكي

بعد الاحتلال الأمريكي للعراق في مارس/آذار 2003، تغيّرت الأنظمة السياسية والاجتماعية والإعلامية في البلاد بصورة مذهلة، فقد سمحت سلطة التحالف المؤقتة بإنشاء الأحزاب السياسية/الدينية، وحظرت أنشطة حزب البعث، وحلَّت وزارة الإعلام والجيش والأجهزة الأمنية، وحظرت على أعضائها الانضمام إلى أي هيئات رسمية مشكَّلة حديثًا، وكانت النتيجة حالة فوضوية؛ حيث عادت الأحزاب الجديدة التي كان رؤساؤها وأعضاؤها يعيشون في الخارج إلى البلاد بأجندتهم الطائفية أو العِرقية، في حين ظَلَّ مئات الآلاف من الشباب العراقي عاطلين من العمل، وتَعرَّض كثيرون منهم للإهانة والإذلال في مراكز الاعتقال التي كانت تشرف عليها القوات الأمريكية المنتشرة في عموم البلاد. وفي ظِلِّ النظام السياسي الجديد، أصبح العراقيون – بمن فيهم الصحافيون – مستقطَبين تجاه طائفتهم أو قبيلتهم أو انتمائهم العرقي، في مسعى للحصول على الحماية في أجواء انعدم فيها الأمن، وكان الإعلام العراقي إحدى ضحايا هذا الواقع، وصار منقسمًا بين خطوط الاستقطاب هذه.

وفيما يتعلق بالسياسة الأمريكية الرسمية، قالت الإدارة الأمريكية ورئيسها: إنها تدعم وجود «إعلام عراقي حُر ومستقل ومسؤول – بما في ذلك التلفاز والإذاعة والصُّحُف – يقدم محتوى عالي الجودة، وتغطية مسؤولة في عموم العراق». (Bush,2005). وفي أعقاب هذه السياسة، أعلنت سلطة التحالف المؤقتة عن رغبتها في إيجاد بيئة تنتعش فيها حرية التعبير، ويجري فيها تبادل المعلومات بحرية وانفتاح (CPA, 2003). وكانت شعارات الإعلام الجديدة قوية لدرجة أن رئيس الإدارة المدنية بول بريمر تفاخَر بوضع الإعلام الحالي في العراق مقارنة بما كان عليه في الماضي: «في ظِلِّ النظام السابق، حيث كان انتقاد الحكومة من المحرمات».

أما الآن، فإنهم أحرار في انتقاد أيِّ شخص كان. أما على أرض الواقع، فقد تصرفت هذه السلطة بعنف ضد أي وسيلة إعلامية تجرأت على انتقاد قوات التحالف، إما بإغلاق الصحيفة أو المحطة التلفازية، وإما باعتقال الصحافيين والتحقيق معهم.

وضمن سياق هذا المشهد الإعلامي الجديد، بدأ العراقيون أولًا بإصدار الصُّحُف والمجلات في غياب أي نوع من الرقابة، وظهرت نتيجة لذلك بعض الإيجابيات، منها: حرية مشاهدة القنوات الفضائية، وتصفُّح الإنترنت بضوابط قليلة (Prusher, 2003, April; al-Rwi, 2001)، فقد بلغ عدد مستخدمي الإنترنت في العراق، مثلًا، نحو 50,000 مشترك نهاية عام 2004، وانتشر أكثر من 170 مقهى إنترنت بحلول عام 2006 (OpenNet Initiative, 2007 : 2).

في هذا المشهد، اتبع الصحافيون العراقيون الذين كانوا يجهلون مبادئ العمل الصحافي الجيد، أو كانوا طارئين على هذه المهنة، «معايير صحافية عادية وملتبسة» (Kim & Hama-Saeed, 2008). يضاف إلى ذلك أن معظم الصحافيين العراقيين كانوا يشعرون بالقلق؛ لأنهم كانوا يتعرضون للضغوط من مجتمعهم الديني، أو القبلي، أو من القوات الأمريكية، والميليشيات المسلحة، أو أجهزة الأمن العراقية، ونتيجة لذلك، صار العراق يُعرَف بأنه البلد الأقل أمانًا في العالم فيما يتعلق بالصحافيين.

في عام 2003، أنشأت سلطة التحالف المؤقتة شبكة الإعلام العراقي بمساعدة من المنفيين العراقيين؛ وذلك لجعلها هيئة إعلامية مستقلة، كما أنشأت هيئة الاتصال والإعلام؛ لتنظيم عَمَل القنوات الإعلامية وشركات الاتصالات العاملة في العراق. وقبل حَلِّها، نقلت سلطة التحالف صلاحية مراقبة شبكة الإعلام وهيئة الاتصال إلى الحكومة العراقية ورئيس الوزراء.

كان يُتوقَّع من شبكة الإعلام العراقي أن تصبح قناة خدمة إعلامية عامة شبيهة بهيئة الإذاعة البريطانية أو إذاعة البث العام الأمريكية PBS، ورصدت

الحكومة ميزانية للشبكة بلغت ستة ملايين دولار شهريًّا، وانطلقت أول إذاعة لها في 10 أبريل 2003، وبدأت محطة التلفاز والقناة العراقية البث في 13 مايو (Dauenhauer and Lobe, 2003 ; Williams, 2003)، لكن لم يمضِ وقت طويل حتى ظهرت مشكلات كثيرة؛ لكن أخطرها كانت بسبب حقيقة أن معظم العاملين في الشبكة كانوا من الشيعة، وهذا ما انعكس على مضمون المواد المبثوثة ونوعها، وتمثلت المشكلة الرئيسة في أن التدخل المباشر من سلطة التحالف المؤقتة جعلها تابعة للسياسات الرسمية، وهذا حدث على الرغم من أن تعليمات هيئة الاتصال والإعلام تقضي بأن تظل شبكة الإعلام العراقي مستقلة، وألَّا «تدافع عن مصالح أو مواقف أي حزب سياسي أو ديني أو أي جهة اقتصادية، وفي قيامها بهذا الدور، فإنه على الشبكة أن تعمل على توعية الشعب بوجهات النظر المختلفة لإيجاد رأي عام متنور». ونصَّت التعليمات أيضًا على ضرورة مراعاة سياسات واضحة للتأكيد على أن تكون «البرامج عن الدين أو المجموعات الدينية، دقيقة ومنصفة، ويجب عدم الإساءة إلى معتقدات المجموعات الدينية وممارستها، ويجب أيضًا على البرامج ألا تشوه المعتقدات الدينية للآخرين».

وعندما حلت سلطة الائتلاف المؤقتة، أصبحت الشبكة أكثر انحيازًا للشيعة، وبخاصة أن أكثر السياسيين ذوي النفوذ كانوا من الشيعة (Cochrane, 2006, Metcalf, 2006). وبعد تشكيل الحكومة العراقية المؤقتة، أصبحت شبكة الإعلام والاتصال تابعة لرئيس الوزراء إياد علاوي، الذي استخدمها منبرًا للترويج لسياسات حزبه، حيث كان علاوي قائدًا شيعيًّا ليبراليًّا، فحاول منْع انقسام الشبكة طائفيًّا. ولضمان مزيد من السيطرة على الإعلام، أنشأ علاوي هيئة الإعلام العليا، وذلك بتعيين صديقه ومستشاره الإعلامي إبراهيم الجنابي، رئيسًا لتلك الهيئة، وحاول علاوي فرْض سلطته على الشبكة وقنوات الإعلام الأخرى. وقد أظهر رئيس الوزراء للصحافيين موقفًا حديديًّا وتصميمًا على ضبْط البرامج الإخبارية، وهاجم الذين اختلفوا معه. وفي أثناء حالة الطوارئ، أكد الجنابي على أنه لن يتسامح مع أي نقْد لرئيس الوزراء أو الحكومة. عندما أصبح

عضو حزب الدعوة الشيعي إبراهيم الجعفري رئيس الوزراء الثاني في أبريل 2005، تغيَّر الوضع السياسي في العراق، حيث شهدت البلاد أسوأ اضطرابات طائفية بعد تفجيرات مراقد شيعية في مدينة سامراء عام 2006، أما فيما يتعلق بشبكة الإعلام، فقد أعيدت هيكلتها من خلال «طرد محررين وتعيين آخرين وتوجيه سياسة التحرير فيها» (Levinson, 2006). وكما ذكرنا، فقد كانت أغلبية العاملين في الشبكة من الشيعة، وكانت الإدارة الجديدة مرتبطة بالأحزاب السياسية المختلفة، وهذا ما حوَّل الشبكة إلى أداة في يد الأحزاب الشيعية القوية، ومنها: حزب الدعوة الذي كان يترأسه نوري المالكي، وحركة مقتدى الصدر، والمجلس الأعلى للثورة الإسلامية في العراق (يُسمَّى حاليًّا المجلس الأعلى الإسلامي العراقي بقيادة عمار الحكيم).

في عام 2007، أصدرت هيئة الاتصال والإعلام تقريرًا عن أنشطة الشبكة، أكَّدت فيه الحاجة المُلِحَّة إلى التعددية التي يمكن تحقيقها من خلال شمول «النساء وممثلي المجموعات العِرقية والدينية والسياسية العراقية كلها – في مجلس الإدارة والإدارة العامة والمراسلين والمذيعين». كان من بين البرامج الأكثر شعبية: الاحتفالات الشيعية، ومشاهد اللطم والضرب بالجنازير، والمقابلات مع الرموز الدينية الشيعية، والبرنامج السيئ الإرهاب في قبضة العدالة، الذي كان يبُث اعترافات متمردين مزعومين من السُّنَّة كان يقال إن القوات الأمريكية قد اعتقلتهم، وكان هؤلاء يُعرَضون على الهواء من دون محاكمة، وكان البرنامج يركز على الجرائم المزعومة التي قاموا بها، بينما كانت علامات التعذيب بادية على أجسادهم، وكان البرنامج يُبَث الساعة التاسعة مساءً، وكان يتهم سورية وقناة الجزيرة بالوقوف وراء العنف في البلاد (Stalinsky, 2005).

باختصار، لقد أدَّت سياسات تحرير الأخبار ذات التوجه الشيعي في شبكة الإعلام العراقي دورًا كبيرًا في عملية الاستقطاب التي شهدها المجتمع العراقي في مرحلة ما بعد الغزو الأمريكي، وفي تهميش الجماهير السُّنِّية، وتحويلها ضد الحكومة؛ فمثلًا، أعرب السياسي السُّني صالح المطلق عن قلقه من التوتر الطائفي في البلاد، ووجَّه

اتهامًا مباشرًا إلى شبكة الإعلام العراقي؛ لأنها ساعدت «على تحويل المجتمع إلى مجتمع طائفي» (Levinson, 2006). وقد حَذَتِ القنوات الإعلامية الأخرى حذو شبكة الإعلام العراقي، ما زاد في التوتر العام في البلاد (Rugh, 2006).

أخيرًا، عندما تولى نوري المالكي السلطة، قلّد إياد علاوي بإنشاء جهاز إعلام خاص به؛ لمراقبة أنشطة شبكة الإعلام العراقي والقنوات الأخرى. وهكذا، فقد أسس مركز الإعلام الوطني عام 2007، وعيَّن المالكي مستشاره الإعلامي علي هادي الموسوي رئيسًا له. في أثناء حكم المالكي، برزت ظاهرة جديدة عكست الطريقة التي استخدمتها الحكومة العراقية لإسكات الصحافيين الذين تحدوا السلطة الرسمية، وكشفوا عيوبها. وقد رفعت الحكومة قضايا تشهير ضدهم ؛ ومنهم: إياد الزميلي الذي قال: إن كبير موظفي إدارة المالكي كان يحابي أقاربه بتعيينهم في الوظائف الحكومية. وقد نشر الزميلي مقالته في موقع على الإنترنت في ألمانيا يسمى (كتابات) (RSF, 20 May 2009)، يضاف إلى ذلك أن تلفاز **الديار** بَثَّ تقريرًا إخباريًّا مقتبسًا من إحدى الصُّحُف يتحدث عن فساد مدير العقارات في وزارة النقل، وقد قضت المحكمة بتغريم القناة عشرة ملايين دينار عراقي في أبريل 2009؛ لتشويهها سمعة مسؤول عراقي من خلال بَثِّ معلومات كاذبة (Journalistic Freedoms Observatory, 2009).

تبعت ذلك نكسات أخرى في المشهد الإعلامي، الذي تحوَّل إلى وضْع شبيه بما كان عليه الحال أيام حكم حزب البعث، فقد قررت الحكومة العراقية إخضاع الصُّحُف الواردة من الخارج للرقابة قبل السماح بعرضها في السوق (Middle East Online, 14 August 2009)، كما أمرت بإخضاع النصوص ومسودات الكتب للرقابة قبل منْح الناشر حقوق الطبع (Al-Hayat, 2009). أخيرًا، أصبح الدخول إلى الإنترنت مُقيدًا أيضًا بالمواقع التي لا تُمثِّل تهديدًا لأمن البلاد، كما حُظِرت المواقع التي تروِّج الإباحية والطائفية والإرهاب (Salaheddin, 2009).

خلاصة القول؛ حققت وسائل الإعلام العراقية بعض المكاسب في أعقاب الغزو الأمريكي، ومنها: تعددية الإعلام العراقي وتنوُّعه، وزيادة رواتب الصحافيين، ولكن الخسائر والنتائج السلبية كانت أكثر، ومنها استقطاب الصحافيين والإعلام الطائفي، الذي أسهم في انقسام المجتمع العراقي، وزيادة أخطار العنف والترهيب ضد الصحافيين. والجزء الثاني يتناول تحليل نشرات الأخبار التي بثَّتها محطات التلفاز العراقية، وكان التحليل مبنيًّا على استنتاجات دراسية هَدَفَت إلى تعزيز فهمها لنوع الرسائل الإعلامية، التي تُبَث في عراق ما بعد الغزو. جمعت المعطيات في أثناء الانتخابات العراقية العامة التي جرت عام 2010. حيث وفّر هذا الحدث فرصة لجمْع عينة من التغطية الإخبارية السياسية، ولمعرفة إن كانت طبيعة التغطية قد تباينت بين القنوات التلفازية ذات الولاءات السياسية والدينية المختلفة، والأكثر من ذلك أنها أيضًا سهَّلت تحليل وضْع الصحافة الإذاعية والتلفازية في العراق.

التغطية التلفازية والإذاعية للانتخابات السياسية في العراق

تناول البحث الوارد أدناه نمط تغطية الموضوعات في النشرات الإخبارية المسائية للقنوات التلفازية العراقية: **قناة الفرات** (التابعة للمجلس الأعلى الإسلامي العراقي)، و**قناة الحرية** (قناة كردية تابعة للاتحاد الوطني الكردستاني الذي كان يرأسه جلال طالباني)، و**قناة بغداد** (سُنية تابعة لإياد السامرائي رئيس الحزب الإسلامي ومجلس النواب العراقي)، وذلك على مدى 14 يومًا سبقت يوم الانتخابات في 7 مارس/ آذار 2010، حيث بلغ مجموع نشرات الأخبار المختارة 56 نشرة شملت عينة من 875 خبرًا عن الانتخابات، ومثَّلت هذه الأخبار ما نسبته 33,73 ساعة من زمن البرامج. وقد هَدَفَ البحث إلى الإجابة عن سؤالين رئيسين: كيف صاغت هذه القنوات قضايا الحملة الانتخابية؟ وما القضايا التي أبرزتها؟

جرى تحليل محتوى البرامج بحسب ثلاثة مستويات: 1- مستوى البرنامج، 2- مستوى الخبر، 3- مستوى الخبر الفرعي. وقاس تحليل مستوى البرامج العدد الإجمالي للأخبار التي تضمنتها كل نشرة، وعدد تكرار موضوعات إخبارية معينة، والوقت الإجمالي المخصص لموضوع كل خبر، وعدد الصيغ الإخبارية المستخدمة وأنماطها. وشملت موضوعات الأخبار: الخلافات السياسية، والأمن والإرهاب، والديموقراطية، والخدمات العامة، والفساد والعنف، والوحدة الوطنية والحوار السياسي، والتزوير الانتخابي، والفيدرالية، ودعّم القوائم الانتخابية، والمفوضية العليا للانتخابات، وقضايا أخرى. وقد استُخدِمت ثماني صيغ وفقًا لبحث جريب وبوسي (Grabe & Bucy, 2009): مقدم لقطة وجه هو يتحدث، voice over صوت المذيع وهو يقرأ الخبر دون ظهور صورته على الشاشة، والقراءة الخلفية من شروط مسجل، والمقابلة المسجلة، والمقابلة على الهواء مباشرة، والتقرير بالصوت والصورة، والتقرير المصور (المراسل لا يظهر في التقرير)، والمقابلة في الاستوديو.

وتناول تحليل مستوى الخبر وجود/غياب 1- الإشارة إلى المرشحين السياسيين، 2- تحقيقات صور/ أفلام عن المرشحين، 3- مقابلات مع المرشحين. وقد ألقى هذا التحليل الضوء على تركيز كل واحدة من القنوات التلفازية على مرشحين معينين على حساب آخرين.

وركز تحليل الخبر الفرعي على الاهتمام بالمرشحين الذين ظهروا ضمن الخبر، وصنف الإشارة اللفظية إليهم - الإيجابية، أو المحايدة، أو السلبية من خلال قاموس مصطلحات محدد مسبقًا. كما قاس ترميز البيانات إن كان المرشح السياسي قد ظهر إلى جانب مرشح منافس، وما العلاقة الخاصة التي تجمعهما. وأخيرًا، تناول التحليل لقطات الكاميرا (زاوية الكاميرا واللقطات المقربة) الخاصة بمرشحين معينين.

وقد اُختيرت نشرات الأخبار المسائية من مراحل مختلفة في العملية الانتخابية، ومن قنوات مختلفة، منها: **قناة بغداد** يوم 22 فبراير، **والعراقية** يوم 25 فبراير، **والحرية** يوم 2 مارس. وقد أُجري اختبار قبلي لتركيز البيانات من قِبَل مشفري البيانات وتحقق معامل ثبات عالٍ (ألفا = 0,86).

ترتيب ملفات موضوعات الأخبار التلفازية

بَدءًا من تحليل مستوى برنامج نشرات الأخبار، وُزعت عينة الأخبار البالغة 857 خبرًا بالتساوي بين قنوات التلفاز الأربع: **قناة بغداد** السُّنية (4= 234)، **وقناة الفرات** الشيعية (4 = 221)، **وقناة الحرية** الكردية (4 = 201)، **وقناة العراقية** الرسمية (4 = 201).

وبناءً على المادة الأولية المجموعة، بثَّت **قناة الحرية** الكردية أخبارًا ووقتًا أقل لهذه الانتخابات. ولأن الجمهور الرئيس للقناة هو الجمهور الكردي، كان واضحًا أنها لم تكن معنية بتقديم أخبار وتقارير بالعربية عن الانتخابات أكثر من القنوات الأخرى. وكان هذا واضحًا أيضًا من نمط صيغة الأخبار، كما سنُبيِّن لاحقًا. وعلى النقيض من **قناة الحرية**، كانت **قناة بغداد** القناة السُّنية الوحيدة التي كان مالكوها ممثلين في الحكومة، وكانت المنبر التلفازي الوحيد الذي استخدمه إياد السامرائي وقائمته.

توزيع موضوعات الأخبار

يناقش هذا الجزء توزيع موضوعات الأخبار بين القنوات الأربع (انظر الجدول 3:1). وبصورة عامة، كانت **قناة العراقية** التي ركزت أكثر من غيرها على بَثِّ الأخبار المتعلقة بالمفوضية العليا المستقلة للانتخابات، فقد التزمت بسياسة الحكومة في تغطية أنشطة المفوضية، وحَثِّ العراقيين على التصويت في الانتخابات من جانب آخر.

وقد أظهرت **قناة الحرية** اهتمامًا أقل بالدعاية للقائمين عليها من حيث عدد الأخبار والوقت والصيغ الإخبارية، وكانت هذه القناة قريبة من **قناة العراقية** من أوجه عدة، وبخاصة فيما يتعلق بتغطية أنشطة المفوضية وموضوعات أخرى، ويعود هذا أساسًا إلى حقيقة أن القناتين قريبتان من الحكومة، أما الموضوع الوحيد الذي أعطته **قناة الحرية** اهتمامًا أكبر فهو موضوع الفيدرالية، مع أن القناتين اشتركتا في عدد الأخبار، وهذا الموقف مفهوم؛ لأن **قناة الحرية** مملوكة لحزب كردي يدافع عن الفيدرالية.

جدول 3: 1 عدد مصادر الموضوعات

الموضوعات	العراقية	الفرات	بغداد	الحرية	المجموع
1. الخلافات السياسية	12	37	30	19	98
2. الأمن/الإرهاب	59	41	87	48	235
3. الديموقراطية	24	34	9	22	333
4. الخدمات العامة	4	39	65	21	129
5. الفساد/العنف	3	6	27	8	44
6. الوحدة الوطنية/الحوار السياسي	13	24	30	13	80
7. التزوير الانتخابي	31	61	38	25	155
8. الفيدرالية	0	2	7	7	16
9. دعم القوائم الانتخابية	0	106	141	43	290
10. المفوضية العليا المستقلة للانتخابات	78	39	46	50	213
11. أخرى	115	81	88	103	387

فيما يتعلق بتلفاز الفرات، فقد أظهرت تغطيتها بأنها قناة حزبية تحاول الترويج، فقد تميزت نشراتها الإخبارية بأنها أحادية الجانب، ولم تعرض أخبارًا عن المرشحين المنافسين، بل كانت تنتقدهم، وشددت القناة على موضوعات خاصة بالخلافات السياسية والديموقراطية والتزوير الانتخابي.

وفيما يتعلق بتلفاز بغداد، فلم تختلف هذه القناة عن تلفاز الفرات؛ إذ أعطت أولوية للترويج لأحزابها، وتغطية أنشطة مرشحيها، واهتمت القناتان بتغطية أخبار الحكومة التي كان رئيسها من أقوى أعدائهم السياسيين. وتَميَّز تلفاز بغداد عن القنوات الأخرى في الاهتمام الذي أولاه لموضوعات الأمن/الإرهاب، والخدمات العامة، والفساد/العنف، والوحدة الوطنية/الحوار السياسي، والفيدرالية، ودعم القوائم الانتخابية.

وقد جرى تطبيق اختبارات مان- وتيني غير القياسية للفئتين المستقلتين، فأظهرت النتائج فروقًا ذات دلالة بين القناتين في ثمانية جوانب من حيث عدد الأخبار. وكانت هذه النتيجة متوقعة؛ لأن القناتين على طرفي نقيض فيما يتعلق بالعملية السياسية بكاملها والقضايا المهمة الأخرى.

حجم وقت البث المخصص للموضوعات الإخبارية

يناقش هذا الجزء توزيع الوقت المخصص للموضوعات المختلفة التي غطتها القنوات التلفازية (انظر الجدول 2:3)، فقد ركز تلفاز العراقية أكثر من غيره على تغطية أنشطة المفوضية العليا المستقلة للانتخابات، وهذا أمر متوقع؛ لأن هذه القناة الحكومية معنية أكثر من غيرها ببث بيانات المفوضية؛ لإطلاع الجمهور على أي تطورات مهمة في العملية الانتخابية، واللافت في الأمر هو حقيقة أن هذه القناة قللت من أهمية موضوعات كثيرة، وخصصت لها وقتًا أقل مما خصصته القنوات الأخرى، وشملت هذه الموضوعات: الخلافات السياسية، والخدمات العامة، والفساد/العنف، والوحدة الوطنية/الحوار السياسي، والفيدرالية. وبتجاهلها كثير من القضايا التي تُسبِّب قلقًا يوميًّا للعراقيين، فقد هدفت القناة إلى إظهار الجانب المشرق للأحداث وليس الواقع الحقيقي على الأرض.

الجدول 3،2 الوقت المخصص للموضوعات بالدقائق

الموضوعات	العراقية	الفرات	بغداد	الحرية	المجموع
1. الخلافات السياسية	26,1	172,4	133,6	56,6	388,6
2. الأمن/الإرهاب	116,9	135,2	303,3	79,2	63,47
3. الديموقراطية	57,1	127,9	28,6	47,2	260,4
4. الخدمات العامة	12,2	151,4	235,8	40,1	439,6
5. الفساد/العنف	5,2	48,9	101,6	11,4	167,1
6. الوحدة الوطنية/الحوار السياسي	26,1	94,8	118,3	27,1	266,3
7. التزوير الانتخابي	88,2	214,4	147,2	39,9	489,7
8. الفيدرالية	0	2,6	31,21	9,1	43
9. دعم القوائم الانتخابية	0	325,2	443,3	72,1	840,6
10. المفوضية العليا المستقلة للانتخابات	207,0	142,2	169,3	67,7	586,2
11. أخرى	247,4	201,0	303,1	146,2	897,7

فيما يتعلق بتلفاز الفرات، فقد خصص وقته لموضوعات الخلافات السياسية والديموقراطية والتزوير الانتخابي. باستثناء موضوع الديموقراطية، كان من المتوقع أن هذه القناة سوف تركز على قضايا الخلافات السياسية والتزوير الانتخابي نظرًا إلى العداوات بين قائمة الحكيم وقائمة المالكي الانتخابيتين. وبعبارة أخرى، أرادت الفرات أن تُظهِر وجود خلافات سياسية وتزوير انتخابي؛ بسبب سياسات حزب المالكي.

يضاف إلى ذلك أن تلفاز بغداد ركَّز على موضوعات الأمن/الإرهاب، والخدمات العامة، والفساد/العنف، والوحدة الوطنية/الحوار السياسي، والفيدرالية، ودعم القوائم الانتخابية، وموضوعات أخرى أكثر من القنوات الأخرى. وباستثناء موضوع دعم القوائم الانتخابية والموضوعات الأخرى، وإلى حد ما الوحدة الوطنية/الحوار السياسي، فقد جرى تغطية معظم الموضوعات المذكورة أعلاه بطريقة سلبية تعكس الانتماء الفكري

للقناة. وأخيرًا، لم يُظهِر تلفاز الحرية أي اهتمام بأي موضوع أكثر من القنوات الأخرى، التي شملتها الدراسة، وهذا يعكس مرة أخرى عدم اهتمام القناة ببث البرامج العربية، التي تدعم الانتخابات والمشاركين فيها.

وقد أظهرت نتائج اختبار t– test لمعرفة دلالة الفروق بين متوسطين، أن أعلى درجات التباين بين القناتين موضوع الدراسة، كانت بين قناتي بغداد والحرية في تسعة موضوعات من حيث الوقت المخصص، وهذا أمر متوقع؛ لأن قناة بغداد بدت ضد سياسات الحكومة، على عكس قناة الحرية التي كان يملكها، الرئيس جلال طالباني، الذي كان يمثل الحكومة كاملة.

الخلاصة هي أنه بناء على عدد الأخبار والوقت المخصص لصُنْعها، نستطيع أن نلمس أن قناة بغداد جاءت متقدمة على قناة الفرات في جولة تغطية الانتخابات والترويج لداعميها السياسيين. وجاءت قناة العراقية ثالثة في التركيز على المرشحين، بينما جاءت قناة الحرية في الترتيب الأخير في الترويج لخطها السياسي، وكانت الأقل اهتمامًا بتغطية الانتخابات. و لمزيد من الفهم للطريقة التي جرت بها تغطية هذه الموضوعات، فمن المهم أن نلاحظ أسلوب التغطية؛ لنتعرف إلى طريقة صياغة هذه الموضوعات من قِبَل القنوات الأربع.

تحليل الأخبار.. تغطية المرشحين

ركزت المرحلة الثانية من تحليل محتوى النشرات الإخبارية على الأخبار ذاتها. وباستخدام إطار ترميز منفصل، حلل البحث الأخبار من خلال إبراز أهميتها: تخصيص الوقت، وعدد الأخبار، ونمط الصيغة، وعلى الرغم من وجود علاقة ارتباط وثيقة بين عدد الأخبار وتخصيص الوقت، إلا أنه قد وجدت بعض التباينات بسبب طبيعة الأخبار المقدَّمة. وسيناقش هذا الجزء الأخبار التي تضمنت إشارات إلى المرشحين

السياسيين. وقد حصل تلفاز بغداد على أعلى الأعداد في الأخبار بـ (164) خبرًا، وكان الأعلى في الوقت المخصص بـ (524,5 دقيقة) فيما يتعلق بالأخبار التي تضمنت إشارات إلى المرشحين الذين يمثلون جبهة التوافق العراقية، وهي القائمة التي ترعى هذه القناة. وقد مثَّلت الأخبار 96,7% من مجموع الأخبار التي بثتها القناة، التي نادرًا ما أشارت إلى الأحزاب السياسية المنافسة الأخرى، أو خصصت وقتًا لها، وبلغ مجموع ما خصصته للأحزاب والمجموعات الأخرى 25 , 14 دقيقة.

وجاءت قناة الفرات ثانيةً من حيث عدد الأخبار، والوقت المخصص لمرشحي حزبها، وقد بثت القناة 120 خبرًا (377,7 دقيقة) عن مرشحي الحزب الآخر. وقد شكلت الأخبار 2 , 54% من العدد الكلي للأخبار التي شكلها التحليل طوال مدة الدراسة، إضافة إلى ذلك فإن القناة بثت أيضًا خمسة أخبار (7 , 7 دقيقة)، تضمنت إشارات إلى مرشح حركة مقتدى الصدر، وهذا أمر مفهوم؛ لأن الصدر والحكيم شكَّلا التحالف الوطني العراقي منذ بدايته، ولهذا وقفت المجموعتان الشيعيتان معًا ضد الكُتَل السياسية المنافسة الأخرى.

وبثَّت قناة الحرية 43 خبرًا (54,8 دقيقة) عن التحالف الكردي، وهذا ما مثَّل 21,3% من مجموع الأخبار التي بثتها القناة. وقد خصصت القناة ستة أخبار (7 , 6 دقيقة) لكتلة علاوي، وخبرين لقائمة المالكي (1,8 دقيقة). وقد وردت أربع إشارات عن قائمة علاوي والعراقية (7 , 6 دقائق)؛ لأن بعض مرشحيها كانوا ضحايا لعملية اجتثاث البعث؛ لمنعهم من خوْض الانتخابات. وفي الحقيقة، فإن هذا الإجراء أحدث كثيرًا من الجدال حول مصداقية الحكومة، وهيئة العدالة والمساءلة التي كان يرأسها علي اللامي، الذي كان مرشحًا في الانتخابات.

أخيرًا، لم يُعطِ تلفاز العراقية اهتمامًا كثيرًا لأي مجموعة سياسية على حساب الأخرى، وقد بث أربعة أخبار (7 , 1 دقيقة) عن كتلة علاوي، وكانت القضية البارزة

المتعلقة بهذه المجموعة السياسية هي القضايا المرفوعة ضد مرشحيها. ومن خلال بث أخبار عن مختلف الكتل السياسية، تكون القناة قد أثبتت أنها الأكثر توازنًا وموضوعية بين القنوات الأربع.

صيغة الأخبار

ركز تحليل مستوى الأخبار أيضًا على مدى عرض التقارير المصورة أو الصور الصامتة للمرشحين الداعمين للقنوات. وقد تناول هذا التحليل وجود/ غياب: 1- الإشارات السردية للمرشحين السياسيين، 2- أفلام/صور للمرشحين، 3- مقابلات مع المرشحين. ويلقي هذا التحليل الضوء على توجهات كل قناة للدعاية إلى مرشحيها، أو الاهتمام بمرشحين من أحزاب أخرى، يودون الحديث عن برامجهم الانتخابية.

ويمكن بوجود لقطات مصورة أو صور صامتة أن تعزز من وضوح الأخبار فيما يتعلق بالمشاهد، وأن تستخدم للتأكيد على عناصر معينة في الخبر (Gunter, 1997). وأخيرًا، لقد توصل الباحثون إلى أن المقابلات لها أثر أقوى من أنماط الصيغ الأخرى التي شملتها الدراسة (Detenber et al., 1998 ; King & Morehouse, 2004 : 304; Grabe & Bucy, 2009). ويميل المشاهدون إلى الاعتقاد بأهمية المرشحين عندما يظهرون في التلفاز، ويزيدون الاعتقاد كلما تَكرَّر هذا الظهور (McCombs & Shaw, 1972). وبالتأكيد فإن إجراء المقابلات مع المرشحين السياسيين يُعدُّ مؤشرًا على الاهتمام الذي توليه القناة لهذا السياسي أو ذاك؛ لأنها تنطوي على مواجهة شخصية مع المرشح، وتعطي الفرصة للتعبير عن برنامجه السياسي، ومن ثم الاقتراب من المُشاهِد. وقد وجد أن للفيلم المتحرك أهمية وتأثيرًا أقل، لكنه يُقوِّي استرجاع المُشاهِد للخبر أكثر من الصور الصامتة أو الإشارات السردية (Gunter, 1979).

الأفلام والصور الصامتة

وعلى مقياس استخدام صيغ الصور، جاء تلفاز بغداد في المرتبة الأولى مع أكبر عدد من الأخبار، وأطول وقت مخصص لها، وقد بثت القناة 160 خبرًا (515,8 دقيقة) مثلت 68,08% من العدد الإجمالي للأخبار المبثوثة في 14 يومًا. ومرة أخرى، جاء تلفاز الفرات في المرتبة الثانية على هذا المقياس، حيث بث 114 خبرًا (358,11 دقيقة) مثلت 51,5% من مجموع عدد الأخبار. وجاء تلفاز الحرية في المرتبة الأخيرة، حيث بث 33 خبرًا (53 دقيقة) مثلت 16,4% من مجموع عدد الأخبار.

وعمومًا، كان عدد الأخبار والوقت المخصص للقطات المصورة والصور الصامتة للمرشحين من كُتَل سياسية أخرى أقل من عدد الأخبار والوقت المخصص لعرض الإشارات السردية عن المرشحين. وكما ذكرنا سابقًا، فإن عرض فيلم أو صورة صامتة في التلفاز يمكن أن يكون له تأثير أكبر في المشاهد من الإشارات السردية. وعليه؛ فإن ثلاثًا من بين أربع قنوات تلفازية (باستثناء تلفاز العراقية) حاولت تأكيد أهمية مرشحيها من خلال عدم إعطاء اهتمام كبير لمرشحي الأحزاب الأخرى.

عندما تعمقنا أكثر في الفروق بين القنوات، وجدنا أن قائمة المالكي حظيت بتغطية متساوية من القنوات الأربع. وبصورة عامة، فقد دعمت القنوات التلفازية مرشحيها، لكن بعضها غطى أنشطة مرشحين آخرين أيضًا. وقد ركزت الفروق الرئيسة على القوائم الانتخابية التي ترعى القنوات التلفازية المختلفة، ومنها: قائمة عمار الحكيم التي غطتها قناة الفرات، وقائمة طالباني التي غطتها قناة الحرية، وحزب السامرائي الذي غطته قناة بغداد، أما فيما يتعلق بمجموعة مقتدى الصدر، فقد كانت قناة الفرات القناة الوحيدة التي أظهرت اختلافًا كبيرًا عن بقية القنوات.

مقابلات المرشحين

تناول التحليل أيضًا عدد الأخبار والوقت المخصص للمقابلات مع المرشحين. ومرة أخرى، جاء تلفاز بغداد في المرتبة المتقدمة بأعلى عدد من الأخبار وطول الوقت مقارنة بالقنوات الأخرى؛ حيث بثت القناة 126 خبرًا تتضمن مقابلات مع المرشحين (429,58 دقيقة) مثلت 53,6% من عدد المقابلات مع مرشحي جبهة التوافق العراقية. وجاء تلفاز العراقية في المركز الثاني؛ حيث بث 42 خبرًا (147,5 دقيقة) تضمنت مقابلات مع المرشحين، ومثلت 19% من العدد الإجمالي للأخبار المبثوثة، أما قناة الحرية، فبثت 16 خبرًا (135,6 دقيقة) تضمنت مقابلات، ومثلت 7,9% من الأخبار.

تجدر الإشارة إلى أن عدد الأخبار والوقت المخصص للمقابلات مع المرشحين من الكتل النيابية الأخرى كان أقل من عدد الأخبار والوقت المخصص للخبر السردي والأفلام أو الصور الخاصة بمرشحيها.

ومثلما قلنا سابقًا، فإن إجراء مقابلات مع المرشحين يُعدُّ أداة فاعلة لجذب مشاهدي الأخبار، فتلفاز الفرات – مثلًا – لم يعرض أبدًا أي خبر يتضمن مقابلة مع مرشح من الكتل الأخرى، ولا حتى من حركة الصدر. أما تلفاز الحرية، فبث مقابلة واحدة مع ممثل كتلة الحكيم في جبهة التوافق العراقية ومقابلتين مع مرشحين من أحزاب صغيرة، واستغرقت 298 ثانية فقط. وأخيرًا، بث تلفاز بغداد مقابلتين استغرقتا خمس دقائق مع مرشحين من أحزاب أخرى وقد بدتا ضعيفتين.

أما فيما يتعلق بالأحزاب الأخرى، فكانت قناتا الحرية وبغداد مرنتين في بث مقابلات مع مرشحي هذه الفئة. ومن جانب آخر، بثَّت قناة الحرية مقابلة قصيرة استغرقت 2,4 دقيقة مع مرشح من كتلة الحكيم. وربما كان السبب في ذلك إدراك المحطة ضرورة تشكيل تحالفات في المستقبل مع الأحزاب الأخرى لحصول الأكراد على مزيد من المكاسب عند تشكيل البرلمان، وتدعم الأحداث اللاحقة للانتخابات هذا

التفسير، حيث شكل التحالف الكردي مع التحالف الوطني العراقي وقائمة المالكي – دولة القانون – ما شكل أغلبية في البرلمان.

أما فيما يتعلق بالمقارنات البينية، فقد ظهرت فروق قليلة، حيث كانت قناة الفرات تدعم مجموعة عمار الحكيم، في حين دعمت قناة الحرية حزب طالباني، أما قناة بغداد فدعمت قائمة السامرائي. والقوائم المذكورة هنا كانت الراعي الحقيقي لهذه القنوات، ولهذا أصبح من الواضح تمامًا أن هذه القنوات كانت تساند أحزابها.

أوصاف المرشحين

ضمن الأخبار الخاصة بالانتخابات، أجري مزيد من التحليلات لاستكشاف الطريقة التي عُومِل بها المرشحون السياسيون. وكان تكافؤ المعاملة التي أعطيت لكل مرشحين أحد التحليلات الرئيسة؛ وهو ما يعني إذا كانوا قد عوملوا بطريقة محايدة أو إيجابية أو سلبية. ولتسهيل عملية التحليل هذه، جرى تقييم إشارات الخبر للمرشحين من حيث استخدام الأوصاف المحايدة/ السلبية/ الإيجابية، والنعوت والتعبيرات.

لقد تجنب تلفاز العراقية بصورة عامة تغطية أنشطة المرشحين السياسيين، ولكنه غطى أنشطة علاوي وقائمته، وقد حُرِّرت خمس إشارات سلبية مقارنة بثلاث إشارات محايدة؛ فقد وردت إشارة واحدة محايدة لكل من الرئيس العراقي السابق جلال طالباني، ورئيس مجلس النواب السامرائي، أما المالكي فكان يذكر يوميًّا، وفي الأغلب بطريقة إيجابية.

انصب التركيز في تلفاز الفرات على قائمة عمار الحكيم (راعي القناة) التي حصلت على 124 وصفًا إيجابيًّا. ومع ذلك، وردت أيضًا عشر إشارات سلبية لقائمة

المالكي. ويعود السبب في ذلك إلى قرار المالكي بالانسحاب من التحالف الشيعي الذي تَشكَّل عام 2005؛ ليقدم نفسه بصفته موحدًا للعراقيين سواء السنة أو الشيعة، وقد حاول المالكي ضم شخصيات سُنية إلى قائمته، منها: (كبار أعضاء مجلس الصحوة في الأنبار)، وقد أثارت هذه الخطوة غضب الحكيم، الذي ردَّ عليها بموقف عدائي تجاه المالكي وقائمته. وشملت الإشارات الأخرى في برامج تلفاز الفرات تسعة أوصاف إيجابية للصدر وقائمته.

وفي تلفاز بغداد، وردت إشارات سلبية قليلة إلى الكتل السياسية، وحصلت كتلة السامرائي على أعلى عدد من الإشارات الإيجابية (4 = 639)، وحصلت القوائم الأخرى على ثماني إشارات، كما حصلت كتلة السامرائي (راعي القناة) أيضًا على سبع إشارات محايدة، وكانت قناة الحرية آخر القنوات التي شملها البحث؛ حيث أوردت 38 إشارة إيجابية في تقاريرها عن قائمة طالباني (راعي القناة)، وسبع إشارات عن كتلة علاوي، وأربع عن كتلة الحكيم. وكما ذكرنا سابقًا، لم يركز الأكراد على طالباني وقائمته؛ لأنهم كانوا يستثمرون في قنوات أخرى باللغة الكردية. أما فيما يتعلق بالإشارات الإيجابية الخاصة بالكتل الأخرى، فقد كان واضحًا أن القناة كانت تفكر في تحالفات مستقبلية مع قوائم أخرى لم يستطع الأكراد من دونها أن يشكلوا أغلبية في البرلمان. كما وردت إشارات سلبية قليلة أيضًا، وتركز العدد الأكبر منها على قائمة طالباني (4 = 10)، وقائمة المالكي (4 = 6)، وقائمة علاوي (4 = 3). وأخيرًا، حصل طالباني على أكبر عدد من الأوصاف المحايدة (4 = 12)، وحصل الصدر والسامرائي على إشارة واحدة لكل منهما.

جدول 3: 3 اختبارات كروسكال ـ وأليس Kruskal ـ Wallis ومان ـ ويتني Mann_Whitney: ترتيب أوصاف المرشحين السلبية

	عدد الإشارات في تلفاز العراقية	عدد الإشارات في تلفاز الفرات	عدد الإشارات في تلفاز بغداد	عدد الإشارات في تلفاز الحرية	مربع كاي *1	الدلالة الافتراضية
المالكي	0a	0a	0a	0a	0,00	p < 1,000
علاوي	0a	0a	0a	7a	6,54	*p < 0,055
الحكيم	0a	124a	0a	4a	63,36	**p < 0,000
الصدر	0a	9b	0a	0a	5,76	p < 0,124
طالباني	0a	0a	0a	38b	19,70	***p < 0,000
السامرائي	0a	0a	639b	0a	326,67	****p < 0,000
§	0a	0a	0a	0a	2,66	*p < 0,447

ملحوظة: العلامات التي تشترك في العناوين ذاتها غير مختلفة دلاليًّا على مستوى قيمة p < 0,05.

*اختبار مربع كاي Chi_Square هو اختبار إحصائي لتقييم الانحرافات بين القِيم المشاهَدة والمتوقعة لفئتين أو أكثر_ المترجم.

* p < 0,055 (علاوي: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المحطات في تغطية المرشح/ القائمة).

** (الحكيم: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المحطات في تغطية المرشح/ القائمة).

*** (طالباني: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المحطات في تغطية المرشح/ القائمة).

**** (السامرائي: توجد فروق ذات دلالة إحصائية بين المحطات في تغطية المرشح/ القائمة).

ولمعرفة تفاصيل الفروق بين القنوات الأربع في تغطية أنشطة المرشحين، جرى تطبيق سلسلة من اختبارات كروسكال – وأليس ومان – وتيني، ولم نتوصل إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بوساطة المحطات في استخدام الإشارات السلبية عن المرشحين، ولكن وُجِد فرق واحد فيما يتعلق باستخدام الإشارات المحايدة في تغطية أنشطة طالباني وقائمته، وكان هذا بسبب العدد الكبير لإشارات قناة الحرية المحايدة عن راعيها.

وفيما يتعلق بالإشارات الإيجابية، فقد وُجِد عدد من الفروق ذات دلالة إحصائية (انظر الجدول 3:3) خاصة بالحكيم وطالباني وسامرائي. وقد عكست هذه الفروق التركيز الشديد على إيجابيات الأحزاب السياسية من قِبَل القنوات التلفازية التي ترعاها: الفرات والحرية وبغداد على التوالي.

علاقة المرشحين الفراغية

استقصى تحليل لمستوى الأخبار الفرعية العلاقة الفرعية لكل مرشح مع الآخرين ضمن عينة البرامج الإخبارية، وقد صنف ميرفي (Murphy, 1998) العلاقة الفرعية للمرشح مع الآخرين إلى خمس فئات وفقًا لدراسة باترسون وماكلور (Patterson and McClure 1976)، هي: إظهار المرشح منفردًا، وعلى مسافة قريبة من الجمهور، وعلى مسافة الحديث، وعلى المسافة العامة، وأخرى أو غير قادر على التحديد. وفي الحقيقة، فإن هناك علاقة قوية بين الطريقة التي يظهر بها المرشح على الشاشة وبين الأثر الذي تتركه في المشاهد؛ فمثلًا يتأثر المشاهد كثيرًا إذا ما ظهر المرشح على مسافة قريبة أو مسافة الحديث فيما يتعلق بالجمهور. وقد أضافت هذه الدراسة فئة المرشح من آخرين التي تحمل وزنًا مماثلًا للطريقتين السابقتين؛ وهو أن المرشح لا يظهر دائمًا وهو يتحدث إلى الجماهير. أما المسافة العامة فكانت التصنيف الذي أُعطي للمرشح عندما يظهر على منصة أعلى من مستوى الجمهور. وهذه الطريقة أقل حميمية وأقل تأثيرًا في المشاهد؛ لأنها تجعل المرشح يبدو منعزلًا عن الناس الموجودين حوله، ويمكن قول الشيء نفسه فيما يتعلق بإظهار المرشح منفردًا.

وقد وُجِد أن القنوات التلفازية الأربع لجأت إلى إظهار المرشح منفردًا (249 مشهدًا) أكثر من إظهاره إلى جانب مرشح آخر، بغض النظر عن المسافة المكانية بينهما، وعند عرض اثنين من المرشحين أو أكثر، فغالبًا ما يعرضون في المسافة العامة (127 حالة ظهور)، ويأتي في المرتبة الثانية المرشح مع آخرين (111 حالة ظهور)، ثم

المسافة القريبة (35 حالة ظهور)، ومسافة الحديث (29 حالة). وقد طُبِّق هذا النموذج باستمرار بوساطة القنوات التلفازية الثلاث التي يرعاها المرشحون السياسيون، أما قناة العراقية، فكانت الصور المرتبطة بهذا الموضوع نادرة.

يبدو واضحًا أن تلفاز بغداد كان من بين القنوات كلها الذي يفضِّل عرض المرشحين منفردين (4 = 153)، وينطبق هذا الوضع على المرشحين الرئيسين الذين شملهم هذا التحليل، وهم: الحكم، ومهدي، والعامري، وكالباني، وغيرهم. وقد اختار تلفاز الفرات استخدام نموذج المسافة العامة (4 = 66)، واختار تلفاز الحرية أيضًا إظهار المرشحين منفردين (4 = 29)، لكنه غالبًا ما كان يعرض صور المرشحين أقل من تلفاز بغداد والفرات. وللتذكير، ركزت تلفازات بغداد والفرات والحرية تغطيتها الإخبارية على مرشحيها وتجاهلت الآخرين، كما ذكرنا سابقًا، ولهذا فإن الجدول 4:3، يتناول المرشحين الذين ترعى قوائمهم الانتخابية هذه القنوات، باستثناء تلفاز العراقية الذي عرض لقطة صور ثابتة واحدة لكل من المالكي وطالباني والسامرائي، ولقطتين لعلاوي.

زوايا الكاميرا

تتعلق المرحلة الأخيرة من التحليل في إطار الترميز هذا بزوايا الكاميرا، وذلك عند عرْض فيلم عن المرشح، وقد استقصى كيبلنجر (Kipplinger, 1982, 1983) كيف يمكن لبعض زوايا الكاميرا المستخدمة في تصوير المرشحين أن تؤثر في انطباعات المشاهدين عن مرشحيهم. وأظهرت نتائج دراسته أن الأثر الإيجابي لزاوية الكاميرا يحدث عند إمساك الكاميرا بمستوى العين، وربما يعود ذلك إلى شعور المشاهد بأنه مساوٍ للمرشح وقريب منه.

وتُسبِّب الزوايا المنخفضة أثرًا سلبيًّا في المشاهد، وقد درس جرابر Graber كيفية تأثير الطريقة التي يلتقط بها الجمهور الرسالة؛ وقال: «إن الجمهور يولي انتباهًا أكثر للقطات المقربة».

جدول 4:3 علاقة المرشحين الفراغية

		العراقية	الفرات	بغداد	الحرية
المرشح الأول	وحده	4	43	107	21
	مع آخرين	1	31	45	19
	مسافة قريبة من الجمهور	0	10	21	0
	مسافة الحديث	0	2	22	0
	مسافة عامة	0	65	36	5
	أخرى أو غير قادر على التحديد	0	0	0	0
المرشح الثاني	الوحدة	1	12	30	5
	مع آخرين	1	0	7	2
	مسافة قريبة من الجمهور	0	0	3	0
	مسافة الحديث	0	0	4	0
	مسافة عامة	0	1	14	0
	أخرى أو غير قادر على التحديد	0	0	0	0
المرشح الثالث	الوحدة	0	5	17	4
	مع آخرين	0	0	4	1
	مسافة قريبة من الجمهور	0	0	2	0
	مسافة الحديث	0	0	1	0
	مسافة عامة	0	0	6	0
	أخرى أو غير قادر على التحديد	0	0	0	0

وقد أكد جريب وبوسي أنه:

«عندما يُصوَّر المرشحون في لقطات مُقرَّبة، فإن هذا يعزز المشاركة العاطفية، ويُوجِد حميمية اجتماعية بين مَنْ يظهر في الصورة والمشاهد، وعندما يختصر المسافة النفسية بين جمهور المشاهدين والممثلين على المسرح، فإن التلفاز يدفع المشاهدين إلى رؤية المرشحين من منظور شخصي، وهذا يقوي الألفة والثقة بينهما».

بكلمات أخرى، هناك وزن بصري في لقطات الكاميرا المقربة، وأوضاع مستوى العين التي تضفي أهمية أكبر على المرشح، وتظهر تحيزًا واضحًا.

الجدول 3: 5 زوايا الكاميرا

	العراقية	الفرات	بغداد	الحرة
المرشح رقم 1: مستوى العين	5	117	153	41
المرشح رقم 2: مستوى العين	2	13	44	7
المرشح رقم 3: مستوى العين	0	5	25	5
المرشح رقم 1: منظر علوي كامل	0	1	1	0
المرشح رقم 2: منظر علوي كامل	0	0	0	0
المرشح رقم:3: منظر علوي كامل	0	0	0	0
المرشح رقم 1: منظر سفلي	0	0	3	0
المرشح رقم 2: منظر سفلي	0	0	2	0
المرشح رقم:3: منظر سفلي	0	0	1	0
المرشح رقم 1: لقطة مُقرَّبة	0	98	130	27
المرشح رقم 2: لقطة مُقرَّبة	1	13	34	5
المرشح رقم 3: لقطة مُقرَّبة	0	5	21	4

وكما هو متوقع، فقد وجدنا، كما في الجدول 5:3، أن تلفاز بغداد أظهر اهتمامًا متزايدًا بمرشحي جبهة التحالف العراقية من خلال عرض صور أكثر من القنوات الأخرى في لقطات مقربة وفي مستوى العين، لكن هذا لم يقتصر على الأوائل، بل شمل أيضًا المرشحَيْن الثاني والثالث عند وجودهما، وقد جاءت قناة الفرات في المركز الثاني،

وتبعتها قناة الحرية. والخلاصة أن تلفاز بغداد كان أكثر اندفاعًا في التشديد على أهمية مرشحين محددين أكثر مما فعلته القنوات الأخرى، فقد بث هذا التلفاز أخبارًا أكثر، وعرض تقنيات مفضلة أكثر من التلفازات الأخرى من حيث عدد السياسيين المقربين الذين أجرى مقابلات معهم، وعلاقة المرشحين الفرعية، وزوايا اللقطات المصورة. ووفقًا للمعيار ذاته، جاء تلفاز الحرية في المركز الثالث. أما فيما يتعلق بتلفاز العراقية، فقد كان التركيز الأساس على الموضوعات أكثر من المرشحين، ووفقًا للمعطيات التي ذكرناها أعلاه، نستطيع أن نستنتج أن القنوات كلها موضوع الدراسة أظهرت انحيازًا وعدم موضوعية في تغطية الأخبار وأنشطة المرشحين، وقد قيس الانحياز بعدد الإشارات السلبية والإيجابية للموضوعات/المرشحين، وما لاحظناه هو أن القنوات كلها، باستثناء حالات قليلة، كانت منحازة؛ إما إلى الجانب الإيجابي وإما إلى الجانب السلبي.

الإعلام العراقي بعد 2010

بعد إعادة انتخاب المالكي رئيسًا للوزراء عام 2011، انطلقت مظاهرات كثيرة في أنحاء البلاد مطالبة بوضع حد للفساد والبطالة، وقد انتقدت وسائل إعلام كثيرة حكومة المالكي وبعض الأحزاب السياسية لدورها في تدهور حياة المواطنين، وانتشار الفوضى. وكان من نتيجة هذا النقد أن تعرَّض عدد من الصحافيين للضرب في البصرة في مارس 2011، وحطمت قوات الأمن مرصد الحريات الصحافية في بغداد وفي مدينة السلمانية، وهاجمت قوات الأمن إذاعة صوت الكرد وإذاعة وتلفاز ناليا، وأغلقتهما لبثهما أخبار المظاهرات ضد الحزب السياسي الرئيس. وقد انتقدت منظمات حقوق

الإنسان السلطات الكردية لاعتقالها النشطاء، وتقييد حرية التعبير.[1] (Barzanji, 2011, Tawfeeq, 2011).

ولا يزال العراق يُصنَّف على أنه من بين أخطر دول العالم فيما يتعلق بحماية الصحافيين؛ حيث فُقِد أكثر من 230 إعلاميًّا منذ الغزو الأمريكي عام 2003م، كما أُجبِر المئات من الصحافيين على الهرب إلى الدول المجاورة (RST, 2009, 2010). وبحسب تقرير لجنة حماية الصحافيين، التي تتخذ من نيويورك مقرًّا لها، فقد قُتِل[2] 136 صحافيًّا نتيجة لعملهم الميداني، وكان 90% منهم من العراقيين (2008).

لمدة أربع سنوات متواصلة على رأس قائمة الدول الأعلى في نسبة الجرائم ضد الصحافيين، حيث قُتِل 92 صحافيًّا بين عامي 2001و2011، ولم تتخذ الحكومة أي إجراء لمحاكمة القَتَلَة. ويعدُّ العراق «أكبر سوق في العالم في عدد المختطفين والرهائن؛ حيث خُطِف أكثر من 93 إعلاميًّا من عام 2003 حتى عام 2010، وأُعدِم 42 منهم على الأقل بعد ذلك، ولا يزال هناك 14 مفقودًا» (RSF,2010). وفي الحقيقة فإن العراق تحوَّل بعد الغزو الأمريكي إلى أسوأ بلد للعيش فيه، ليس فيما يتعلق بالصحافيين فحسب، وإنما أيضًا للناس العاديين. وذكر مؤشر السلام العالمي لعام 2010م أن العراق جاء في المركز 143، وكان الأسوأ في العالم من حيث انعدام الأمن والسلام (Institute for Economics Peace, 2010).

---

(1) أصدرت اللجنة بعد ذلك عددًا من التقارير تحدثت فيها عن زيادة التهديدات والمضايقات ضد الصحافيين، وقالت: إن الحكومة لم تفعل شيئًا لتقديم قَتَلَة 93 صحافيًا منذ عام 2003، وأنها أقرب إلى إغلاق 44 مصلحة إعلامية محلية وعالمية، ومع أنها لم تطبِّق هذا الأمر، لكنها فرضت مزيدًا من القيود على الإعلام ـ المترجم.

(2) مع أن هذه الدراسة نُشِرت أول مرة عام 2013، فإن السيناريوهات التي تحدثت عنها تكررت عام 2015، في المظاهرات التي جرت ضد حكومة رئيس الوزراء العراقي حيدر العبادي، وضد نظام مسعود برزاني؛ حيث تعرض الناشطون في المظاهرات للملاحقة والقتل ـ المترجم.

وتشير هذه الدراسة والتطورات التي حدثت بعد عام 2010م بوضوح إلى الحقيقة الصادمة عن وضْع الإعلام العراقي، ووهْم التغييرات الديموقراطية التي قالوا إنها حدثت في العراق، بل تعتمد المنافذ الإعلامية على الجهات السياسية التي ترعاها، والصحافيون محكومون في الأغلب بالسياسة التحريرية للصحف ومحطات التلفاز التي يعملون فيها، أكثر من مبادئ الصحافة الجيدة. يضاف إلى ذلك أن كل قناة تلفازية، كما يبدو، تخاطب جمهورها الطائفي أو العرقي، كما لو أن الأقليات الأخرى لا وجود لها. وعلى الرغم من ادعاءات الحيادية والموضوعية، إلا أن النتائج أظهرت أن الخدمات التلفازية الإخبارية بعيدة كل البعد عن هذه الادعاءات، وأن هذه القنوات موجهة بولاءاتها الحزبية وارتباطاتها الدينية. كما تَبيَّن أن هذه القنوات كانت متحفظة على إظهار الصفات السلبية للمرشحين/القوائم الانتخابية الأخرى؛ ربما لأنها كانت تخاف العقوبات والملاحقة القانونية والتهديدات السائدة في عراق اليوم.

* * *

الهوامش

1. على الرغم من ذلك، حاول عدد من الصحفيين العراقيين الالتزام بمبادىء الصحافة الجيدة والحيادية والموضوعية، بينما حاول آخرون حتى انتقاد نظام صدّام حسين (al–Rawi، 2012).

* * *

المراجع

Al-Hayat (2009) Iraqi official censorship on imported books. 22 July. Available at:http://ksa.daralhayat.com/ksaarticle/40272 (accessed 31 December 2009).

Al-Rawi, K. H. (1992) *History of Radio and Television in Iraq* (in Arabic). Baghdad: Dar al-Hikma for Publishing and Distribution.

)2010 (*The History of the Press and Media in Iraq from the Ottoman Period until the Second Gulf War, 1991-1816* (in Arabic). Damascus: Dar Safahat lil Dirasat wa Al-Nashir.

(2011) Iraqi women journalists' challenges and predicaments, *Journal of Arab and Muslim Media Research* 36-223 ,(3)3.

(2012) *Media Practice in Iraq*. Hampshire: Palgrave Macmillan.

Barzanji, Y. (2011) Gunmen in Iraq attack Kurdish TV station that showed protest. *The Associated Press*. 20 February.

Bengio, O. (1985) Shi'is and politics in Ba'thi Iraq. *Middle Eastern Studies,* 1)21) (January), 14-1.

Boyd, D. A. (1982) *Broadcasting in the Arab World: A Survey of Radio and Television in the Middle East.* Philadelphia: Temple University Press.Bush, G. W. (2005). Iraq strategy. November. Retrieved on 12 June 2009. http://georgewbushwhitehouse.archives.gov/infocus/iraq/text/iraq_strategy_nov2005.html.

Coalition Provisional Authority (2003) Prohibited Media Activity. CPA/ORD/10 June 14/2003.

(2004) Transition of Laws, Regulations, Orders, and Directives Issued by the Coalition Provisional Authority. CPA/ORD/28 June 100/2004.

Cochrane, P. (2006) The 'Lebanonization' of the Iraqi media: An overview of Iraq's television landscape, *Transnational Broadcasting Studies*, 16. Available at: www.tbsjournal.com.

Communications and Media Commission (2007) *Policy Recommendations Concerning Broadcasting in Iraq*. Stanhope Centre for Communications Policy Research, January.

CPJ (Committee to Protect Journalists). (18 December 2008) Special reports: For sixth straight year, Iraq deadliest nation for press. Available at: http:// cpj.org/reports/12/2008/for_sixth_straight_year_iraq_deadliest_nation_for.php (accessed 25 June 2009).

(2011) Special reports: Getting away with murder: CPJ's 2011 impunity index spotlights countries where journalists are slain and killers go free. Available at: http://cpj.org/reports/_2011/06/2011impunity_index_getting_away_murder.php#index)accessed 5 August 2011).

Dauenhauer, K. and Lobe, J. (2003) Iraq: Massive military contractor makes media mess. *IPS*. Available at: www.ipsnews.net/interna.asp?idnews=19661 (accessed 25 June 2009).

De Beer, A. and Merrill, J. (2004) *Global Journalism: Topical Issues and Media Systems*. Boston: Pearson Education.

Detenber, B. H., Simons, R. F. and Bennett, G. G., Jr. (1998) Roll 'em!: The effects of picture motion on emotional responses, *Journal of Broadcasting and Electronic Media*, 128_113 ,4.

Grabe, M. and Bucy, E. (2009) *Image Bite Politics: News and Visual Framing of Elections*. New York: Oxford University Press.

Graber, D. A. (2001) *Processing Politics: Learning from Television in the Internet Age*. Studies in Communication, Media and Public Opinion. Chicago: University of Chicago Press.

Gunter, B. (1979) Recall of television news items: Effects of presentation mode, picture content and serial position, *Journal of Education Television*, 61_57 ,5.

(1997) *Measuring Bias on Television*. Bedfordshire: University of Luton Press.

Institute for Economics and Peace (2010) Global peace index. Available at: http:// economicsandpeace.org/wp_content/uploads/_2010/09/2011GPI_Results_Report.pdf (accessed 10 February 2013).

Jayasekera, R. (2003) Gives with one hand,takes away with the other. *Indexonline*. Available at: www.indexonline.org/news/20030611_iraq.shtml (accessed 13 June 2003).

Journalistic Freedoms Observatory (JFO) (19 April 2009) A satellite channel must pay a fine for a defamation case. Available at: http://www.jfoiraq.org/newsdetails.aspx?back=1andid=557andpage=5 =EF=BB=BF (accessed 8 July 2009).

Kepplinger, H. (1982) Visual biases in television coverage, *Communication Research*, 46_432 ,9.

(1983) Visual biases in television campaign coverage. In E. Wartella, C. Whitney and S. Windahl (eds), *Mass Communication Review Yearbook*, vol. 4. Beverly Hills, CA: Sage, pp. 405_391.

Kim, H. S. and Hama_Saeed, M. (2008) Emerging media in peril: Iraqi journalism in the post_Saddam Hussein era, *Journalism Studies*, 94_578 ,(4)9.

King, David C. and Morehouse, David (2004) Moving voters in the 2000 presidential campaign: Local visits, local media. In David A. Shultz (ed.), *Lights, Camera, Campaign: Media, Politics, and Political Advertising*. New York: Peter Lang, pp. 18_301.

Levinson, C. (2006) Iraq's 'PBS' accused of sectarian slant, *The Christian Science Monitor*. Available at: www.csmonitor.com/0110/2006/p06s_01woiq. html.

McCombs, M. E. and Shaw, D. L. (1972). The agenda_setting function of mass media, *Public Opinion Quarterly*, 87_176 ,36.

Metcalf, Steve (2006) Analysis: Iraq's media three years on. BBC. Available at: http://news.bbc.co.uk/2/hi/middle_east/4884246.stm (accessed 7 July 2009).

Middle East Online (2009) Iraqi journalists protest 'intimidation', censorship.

Available at: www.middle_east_online.com/english/?id=33720 (accessed 31 December 2009).

Murphy, J. (1998) An analysis of political bias in evening network news during the 1996 presidential campaigns. Unpublished PhD Thesis. University of Oklahoma Graduate College.

OpenNet Initiative. (2007) *Iraq*. Available at: http://opennet.net/sites/opennet. net/files/iraq.pdf (accessed 3 August 2009).

Patterson, T. E. and McClure, R. D. (1976) *The Unseeing Eye: The Myth of Television Powers in the National Politics*. New York: G.P. Putnam's Sons.

Prusher, I. (2003) Free media blossom in Iraq city. *The Christian Science Monitor*. 29 April.

Roug, L. (28 March 2006) Unfair, unbalanced channels. *Los Angeles Times*. Available at: http://articles.latimes.com/2006/mar/28/world/fg_media28 (accessed 5 July 2009).

RSF (Reporters Sans Frontières) (24 April 2002) Iraq 2002 annual report.

Available at: www.rsf.org/Iraq-annual-Report2002-.html (accessed 3 July 2009).

(20 May 2009) News website latest target in government's legal offensive against independent media. Available at: www.rsf.org/News-website-latest- target-in.html (accessed 10 July 2009).

(2010) The Iraq war: A heavy death toll for the media, 2010-2003. Available at: http://en.rsf.org/IMG/pdf/rapport_irak_2010-2003_gb.pdf (accessed 7 September 2010).

Rugh, W. A. (2004) *Arab Mass Media: Newspapers, Radio, and Television in Arab Politics*. Wesport: Praeger Publishers.

Salaheddin, S. (2009) Iraq to impose controls on internet content, sparking freedom of speech debate. *AP*, 4 August.

Stalinsky, S. (2005) Reality TV, Iraq-style. *FrontPageMagazine.com*. Available at: www.frontpagemag.com/readArticle.aspx?ARTID=9083 (accessed 6 July 2009).

Tawfeeq, M. (7 March 2011) Two students killed in Sunni neighborhood of Baghdad. CNN. Available at: http://articles.cnn.com/07-03-2011/world/iraq.violence_1_baghdad-s-zafaraniya-civilians-falluja?_s=PM:WORLD (accessed 26 March 2011).

UNDP (United Nations Development Programme) and Arab Fund for Economic and Social Development (2003) Arab human development report: Building a knowledge society. Available at: www.arab-hdr.org/publications/other/ahdr/ahdr2003e.pdf (accessed 12 December 2009).

Williams, D. (18 August 2003). U.S. taps media chief for Iraq; regulation attempted without appearing heavy-handed. *The Washington Post*, A14.

* * *